# حب الوطن من المنظور الشرعي

**د. خالد بن قاسم الردادي**

إنَّ الحمدَ لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه؛ صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

**أما بعد:**

إن الحديث عن الوطن ومحبته ليس حديثاً عن منطلقات عنصرية أو تعصبية أو قومية كلا، إنه حديث عن حياة وعمارة ونهضة، وتعميق قيم ومبادئ.

قال الجرجاني[1]: "الوطن الأصلي هو مولد الرجل والبلد الذي هو فيه".

وقال الأصمعي(ت٢١٥هـ): "سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا، يَقُولُ: إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ الرَّجُلَ، فَانْظُرْ كَيْفَ تَحَنُّنُهُ إِلَى أَوْطَانِهِ، وَتَشَوُّقُهُ إِلَى إِخْوَانِهِ، وَبُكَاؤُهُ عَلَى مَا قَضَى مِنْ زَمَانِهِ"[2].

وقال ابن النجار البغدادي(ت٦٤٣هـ)-رحمه الله-[3]:"سمعت أبا بكر محمد بن داود يقول: مَنْ لَمْ يَشْرَبْ مَاءَ الْغَرْبَةِ، وَلَمْ يَضَعْ رَأْسَهُ عَلَى سَاعِدِ الْكُرْبَةِ، لَمْ يَعْرِفْ حَقَّ الْوَطَنِ وَالتُّرْبَةِ، وَلَمْ يَعْرِفْ حَقَّ ذِي الْعلمِ وَالشَّيْبَةِ".

والمحبة للأوطان والانتماء للأمة والبلدان أمرٌ غريزيٌ، وطبيعةٌ طبعَ اللهُ النفوس عليها، وحينَ يولدُ الإنسانُ في أرضٍ وينشأُ فيها فيشربُ ماءَها، ويتنفسُ هواءَها، ويحيا بين أهلها؛ فإن فطرته تربطه بها، فيحبُّها ويواليها، ويكفي لجَرْح مشاعر الإنسان أن تشير بأنه لا وطن له.

وقد اقترن حب الأرض بحب النفس في القرآن الكريم؛ قال الله -عز وجل-: {وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اُقْتُلُوا أَنْفُسكُمْ أَوْ اُخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيل مِنْهُمْ...} [النساء: ٦٦]، بل ارتبط في موضع آخر بالدين؛ قال تعالى: {لَا يَنْهَاكُمْ اللَّه عَنْ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّين

---

(١) "التعريفات"(ص: ٣٢٧).

(٢) "المجالسة" للدينوري (٣٣٦).

(٣) "ذيل تاريخ بغداد" (١/ ١٢١).

وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} [الممتحنة: ٨].

ولولا ما يمثله الوطن عند الناس ما هدد بالإبعاد عنه المرسلون، قال تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ} [إبراهيم:١٣]، وفي قصة قوم لوط قولهم: {قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ * قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ * رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ} [الشعراء:١٦٧و١٦٩]، وجعل الإخراج من الوطن أخًا للقتل قال تعالى: {وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ} [النساء:٦٦].

وجُمِع هذا البلاء لنبينا محمّد -عليه الصلاة والسلام- من طرفيه حيثُ هُدِّد بهذا في مكة على يد وألسنة قريش، وفي المدينة على ألسنة المنافقين.

قال الله تعالى: {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} [الأنفال: ٣٠]، وقال سبحانه عن المنافقين: {يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ} [المنافقون: ٨].

وأخرج البخاري[١] عن أَنَس -رضي الله عنه- قال كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ، فَأَبْصَرَ دَرَجَاتِ الْمَدِينَةِ أَوْضَعَ نَاقَتَهُ، وَإِنْ كَانَتْ دَابَّةً حَرَّكَهَا. وفي رواية أخرى؛ كَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ، فَنَظَرَ إِلَى جُدُرَاتِ الْمَدِينَةِ أَوْضَعَ رَاحِلَتَهُ، وَإِنْ كَانَ عَلَى دَابَّةٍ، حَرَّكَهَا مِنْ حُبِّهَا. و (درجات المدينة): يعني طرقها المرتفعة، جمع درجة.

قال الحافظ ابن حجر-رحمه الله-[٢]: "وفي الحديث دلالة على فضل المدينة وعلى مشروعية حب الوطن والحنين إليه".

وأجمل هذا الحب إذا اجتمع حب الله لهذا الوطن مع حب النفس له وقد جمع الله ذلك لنبيه -صلى الله عليه وسلم- في حبه لمكة ولكنه ابتلي أشد الابتلاء بالإبعاد عنها ، فعن عَبْدِ اللَّهِ بِاْنِ عَدِيِّ الزهري أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِي -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ وَهُوَ وَاقِفٌ بِالْحَزْوَرَةِ فِي سُوقِ مَكَّةَ: «وَاللَّهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-؛ وَلَوْلاَ أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ

---

(١) (٣/٦٢٠-مع الفتح) رقم(١٨٠٢).

(٢) "فتح الباري" (٣/ ٦٢١).

مَا خَرَجْتُ»[١].

قال العيني -رحمه الله-[٢]: "ابتلى الله نبيه -عليه الصلاة والسلام- بالهجرة وفراق الوطن".

وقال السُّهَيْلِي-رحمه الله-[٣]: "في هذا دليل على حب الوطن وشدة مفارقته على النفس..".

وقال الحافظ الذهبي -رحمه الله-[٤] مُعَدِّدًا طائفةً من محبوبات رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "وكان يحبُّ عائشةَ، ويحبُّ أَبَاهَا، ويحبُّ أسامةَ، ويحب سبطَيْه، ويحب الحلواء والعسل، ويحب جبل أُحُدٍ، ويحب وطنه".

هكذا كان مَثَلُنا وقدوتُنا - صلَّى الله عليه وسلَّم - يحمل في قلبِه الطاهر محبتَه الصادقة للوطنِ، وفي أيامنا هذه أمامنا وطنٌ كبير غالي نحمله في قلوبِنا يحتاجُ من قلوبنا طهارتها، ولا ينقي القلوبَ إلا المحبةُ، وهذه المحبةُ لا تتحقَّقُ إلا بما شرع الله لنا.

وعَنْ عَلِيٍّ بن أبي طالب -رضي الله عنه-، قَالَ:" لَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ أَصَبْنَا مِنْ ثِمَارِهَا، فَاجْتَوَيْنَاهَا[٥] وَأَصَابَنَا بِهَا وَعْكٌ..."[٦].

قال ابن عبد البر —رحمه الله-[٧]:" وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ بَيَانُ مَا هُوَ مُتَعَارَفٌ حَتَّى الْآنَ مِنْ تَنْكِيرِ الْبُلْدَانِ عَلَى مَنْ لَمْ يَعْرِفْ هَوَاءَ الْبَلَدِ، وَلَمْ يَشْرَبْ قَبْلُ مِنْ مَائِهِ...

---

(١) أخرجه أحمد (١٠/٣١) رقم(١٨٧١٥)، والترمذي(٧٢٢/٥) رقم(٣٩٢٥)، وابن ماجه(٢٨٩/٤) رقم(٣١٠٨)، والدارمي رقم(٢٥٥٢)، وابن حبان (٢٢/٩-الإحسان) رقم(٣٧٠٨)، والحاكم (٧/٣) بإسناد صحيح. وقال الترمذي: "حديث حسن صحيح غريب". وصححه الحاكم وأقرَّه الذهبي. وقال ابن حزم في "المحلى" (٣٣٧/٥): " وهذا خبر في غاية الصحة".

(٢) "عمدة القاري" (٢٥١/١٠).

(٣) "الروض الأنف" (٤٢١/٢).

(٤) "سير أعلام النبلاء"(٣٩٤/١٥).

(٥) اجتوى المكان: لم يوافقه.

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة في "المصنف" (١٤/ ٣٦٢ - ٣٦٤)، وأحمد (٢٥٩/٢) رقم(٩٤٨)، والطبري في "تاريخه" (٢/ ٤٢٤ - ٤٢٦)، وابن المنذر في "الأوسط" رقم(٦٦١٦)، وابن بشران في "أماليه" رقم(٢)و (٨١٣)، والبيهقي في "الدلائل" (٣/ ٦٢ - ٦٤). وقال الهيثمي في "المجمع" (٧٥/٦): رجاله رجال الصحيح غير حارثة بن مضرب وهو ثقة". وصحَّحه الوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين" (٥٨/٢) رقم(٩٧٥).

(٧) "الاستذكار"(٤٨/٢٦).

وَفِيهِ بَيَانُ مَا عَلَيْهِ أَكْثَرُ النَّاسِ مِنْ حَنِينِهِمْ إِلَى أَوْطَانِهِمْ، وَتَلَهُّفِهِمْ عَلَى فِرَاقِ بُلْدَانِهِمُ الَّتِي كَانَ مَوْلِدَهُمْ بِهَا وَمَنْشَأَهُمْ فِيهَا".

وأخرج البخاري[1] عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-، قَالَتْ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- المَدِينَةَ، وُعِكَ أَبُو بَكْرٍ، وَبِلاَلٌ، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ إِذَا أَخَذَتْهُ الحُمَّى يَقُولُ:

كُلُّ امْرِئٍ مُصَبَّحٌ فِي أَهْلِهِ ... وَالمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ

وَكَانَ بِلاَلٌ إِذَا أُقْلِعَ عَنْهُ الحُمَّى يَرْفَعُ عَقِيرَتَهُ يَقُولُ:

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً ... بِوَادٍ وَحَوْلِي إِذْخِرٌ وَجَلِيلُ،

وَهَلْ أَرِدَنْ يَوْمًا مِيَاهَ مَجَنَّةٍ ... وَهَلْ يَبْدُوَنْ لِي شَامَةٌ وَطَفِيلُ،

قَالَ: اللَّهُمَّ العَنْ شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَعُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ كَمَا أَخْرَجُونَا مِنْ أَرْضِنَا إِلَى أَرْضِ الوَبَاءِ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا المَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَفِي مُدِّنَا، وَصَحِّحْهَا لَنَا، وَانْقُلْ حُمَّاهَا إِلَى الجُحْفَةِ».

قال ابن الملقن —رحمه الله–[2]:" أما بلال فإنه تمنى الرجوع إلى مكة وطنه الذي اعتاده ودامت فيه صحته".

وقال عامر بن عبد الله —رحمه الله–: "إِنَّمَا أَجِدُنِي آسَفُ عَلَى الْبَصْرَةِ لأَرْبَعِ خِصَالٍ: تَجَاوُبُ مُؤَذِّنِيهَا، وَظَمَأُ الْهَوَاجِرِ، وَلأَنَّ بِهَا أَخْدَانِي، وَلأَنَّ بِهَا وَطَنِي"[3].

وقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ (ت١٦٢هـ)—رحمه الله–: «مَا قَاسَيْتُ فِيمَا تَرَكْتُ شَيْئًا أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ مُفَارَقَةِ الْأَوْطَانِ»[4].

وفي حب الوطن ألف العلماء كتبًا مفردة مثل كتاب "الشوق إلى الوطن" لأبى حاتم السجستاني(ت٢٤٨هـ)[5]، وكتاب "حب الوطن" لعمرو بن بحر الجاحظ(ت٢٥٥هـ)[6]، ودعك عن قصائد الشعراء فهي أكثر من أن تحصى.

---

(١) (٩٩/٤-مع الفتح) رقم(١٨٨٩).

(٢) "التوضيح" (٥٧٩/١٢).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٤٧٣/١٢)، وأحمد في "الزهد" رقم(١٢٦٩)، وابن حبان في "روضة العقلاء" (ص: ١١٥).

(٤) "حلية الأولياء"(٣٨٠/٧).

(٥) ينظر: "هدية العارفين" (٤١٢/١)، و"الأعلام" للزركلي (١٤٣/٣).

(٦) ينظر: "فهرسة ابن خير الإشبيلي" (ص: ٤٧١).

وذكر السبكي(١) في ترجمة الإمام أبي محمد المزني أحمد بن عبد الله المغفلي (ت٣٥٦هـ):" أنه كتب مؤلفًا عن حبِّ الوطن، فمرض بعده أسبوعًا ثم مات ، فسمي قتيلَ حبِّ الوطن".

وعليه فيعلم أن لفظة الوطن ليست قبيحة، ولا منكرة كما تصوره بعض الناس، فقد وردت على ألسنة كثير من أئمة العلم والدين –كما تقدم –.

فالانتماء إلى الوطن في الإسلام يمثل شكلاً من أشكال الجماعة التي جاءت تعاليمه تشد من أزرها وتؤكد عليها وفق ضوابط شرعية وحدود مرعية.

وإن "أساس وطنية المسلمين هي العقيدة الإسلامية، والإسلام قد جعل الشعور الوطني بالعقيدة لا بالعصبية الجنسية، وقد حدد هدفه العمل للخير من أجل البشر، فالاعتبار للعقيدة أولاً، بينما هي عند غيرهم ترتبط بالحدود الجغرافية، ولذلك فحدود الوطن – التي تلزم التضحية في سبيل حريته وخيره – لا تقتصر على حدود قطعة الأرض التي يولد عليها المرء، بل إن الوطن يشمل القطر الخاص أولاً، ثم يمتد إلى الأقطار الإسلامية الأخرى، ومن ثم يوفق الإسلام بين شعور الوطنية الخاصة وشعور الوطنية العامة؛ لأن الإسلام قد فرضها فريضة لازمة لا مناص فيها: أن يعمل كل إنسان الخير لبلده، وأن يتفانى في خدمته، وأن يقدم أكثر ما يستطيع من الخير للأمة التي يعيش فيها، وأن يقدم في ذلك الأقرب فالأقرب، رحمًا وجوارًا، حتى إنه لم يُجز أن تُنقل الزكوات أبعد من مسافة القصر – إلا لضرورة – إيثارًا للأقربين بالمعروف، فكل مسلم عليه أن يسد الثغرة التي هو عليها، وأن يخدم الوطن الذي نشأ فيه، ومن هنا كان المسلم أعمق الناس وطنية، وأعظمهم نفعًا لمواطنيه؛ لأن ذلك مفروض عليه من رب العالمين، وأشد الناس حرصاً على خير وطنه، وتفانياً في خدمة قومه، وهو ينتمي لهذه البلاد العزيزة المباركة، بلاد العزة والمجد والتقدم والرقي.

للوطن حقوق كثيرة على أهله يجب عليهم التزامها والوفاء بها، كالانتماء إليه والفخر به والتكاتف بين أفراده، والعمل من أجل رفعته وعلو قدره، والمحافظة على مرافقه وموارده، والدفاع عنه والنصح لأهله بما فيه صلاحهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة"(٢).

---

(١) "طبقات الشافعية" (١٩/٣).

(٢) "مفهوم الوطنية في الإسلام" د. بدر بن ناصر البدر، مقال منشور على الشبكة العالمية (الانترنت):
http://iraq-amsi.net/ar/22135

ونذكر أن الانتماء للوطن هو بمثابة صمام الأمان لحماية عقول شبابنا وتحصينها وصيانتها ضد التيارات الفكرية الهدامة ، والمناهج المنحرفة والحملات الظالمة ، والشائعات المغرضة التي يروج لها الحاقدون والحاسدون بهدف النيل من هذا الوطن ومقدراته ومكتسباته بل من ولاة أمره وعلمائه الموثوقين المخلصين، سيما وهذا الوطن له من الخصائص والمميزات الدينية والسياسية والأمنية والفكرية والثقافية والاقتصادية ما ليس لغيره من بلاد العالم أجمع.

وإن من المغالطة الإيهام بالتعارض بين الوطنية بمفهومها الطبيعي وبين الإسلام، إن تصوير هذا التعارضِ ليس إلا حيلةً للنيل من الإسلامِ، واستغلالاً للمحبةِ الغريزيةِ للوطن؛ لإيهام الناسِ بأنَّ التمسكَ بتفاصيل الشريعة يُعَطِّلُ بعضَ مصالح الوطن، وذلك عبرَ مصادمةِ أحكامِ الشريعةِ لمطالب الوطنية.

ومن المفاهيم الدخيلة على الانتماء للوطن ما فعله الحركيون أصحاب الخطاب الحزبي البغيض وتربية الناشئة عليه وذلك بنشر خطابهم الأممي الذي لا يعترف بالحدود الوطنية، ويذيب –بل ينتزع– الولاء لدولة التوحيد المملكة العربية السعودية فلا يقرها بحال، بل تغص حلوقهم ويزداد غيضهم عند ذكر هذه الدولة المباركة وبيان محاسنها ومناقبها وآثارها الحميدة والتي يتفيء ظلالها أبناء هذا الوطن بل العالم الإسلامي أجمع.

إن جوهر الوطنية: عقيدة صحيحة، وبيعة في العنق، وأداء للحق، وولاء وطاعة لولاة أمرنا، وعدمُ خروجٍ على الجماعة، وانتماء لكيانه ومكوناته.

إن حبَّ الوطن بالقيام بمسؤولياته وحفظ أماناته وأدائها إلى أهلها.

إن حب الوطن يكون بالدفاع عنه وعن دينه ومقدساته ومواطنيه.

إن حب الوطن يكون بحفظ نظامه، وإصلاح أهله وليس بإفسادهم.

إن حبَّ الوطن باحترام الكبير، والعطف على الصغير، واحترام الجار، واحترام النظام ونظافة الشارع وعدم مضايقة المسلمين.

إنَّ حبَّ الوطن بالحرص على كل ممتلكاته، والتعامل بأخلاق المسلم مع المسلم في كل مكان.

إنَّ حبَّ الوطن ليس يومًا في السنة فقط!! أو صورةً أو عَلَمًا، بل حب الوطن في كل يوم وفي كل حين.

وختامًا أسأل الله أن يحفظ هذا الوطن وولاة أمره من كل سوء وبلاء وفتنة ومكروه، وأن يعم الأمن والأمان في بلادنا . . وأن يجنبنا الفرقة والنزاع والشقاق والإفساد والإرهاب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين.